

دمية القصر

يَحوي المَعالي غالياً أو خالياً ... أبداً يُداري دونها ويُماري .
قد لاحَ في ليلِ الشبابِ كواكبٌ ... إن أمهلّتْ آلت إلى الإسفار .
وتلهُبُ الأحشاءَ شيبَ مَفرِقِي ... هذا الضياءُ شُعاعُ تلكَ الذّارِ .
شابَ القَدالُ وكلُّ غُصْنٍ صائرٌ ... فَيَنانُهُ الأحوى إلى الإزهار .
والشَّيبُ منجذبٌ فلم يصبُ الدُّمى ... عن بيضِ مَفرِقِه ذَوَاتُ نِفارِ .
وتودُّ لو جَعَلَتْ سوادَ قُلوبِها ... وسوادَ أعيُنِها خِضابَ عِذاري .
لا تَنذِرُ الطَّيِّباتُ منهُ فقد رأت ... كيفَ اختلَفُ الذِّبْتِ في الأطوارِ .
شَيئانِ يَنقَشعانِ أولَ وهلةٍ ؛ ... طِلُّ الشَّبابِ وخُلَّةُ الأشرارِ .
لا حَبَّذا الشَّيبُ الوفيُّ وحَبذا ... شَرخُ الشَّبابِ الخائنِ الغَدَّارِ .
وطَربِ مِنَ الدُّنيا الشَّبابُ ورَوقُهُ ... فإذا انقضى فقد انقَصَتْ أو طاري .
قَصُرتْ مَسافَتُهُ وما حَسَنَاتُهُ ... عِندي ولا آلاؤُهُ بِقِصارِ .
نَزادادُ هَمِّاً كُلِّ ما ازدَدنا غِنىً ... فالفَقْرُ كُلُّهُ الفَقْرُ في الإكثارِ .
ما زادَ فوقَ الزَّادِ خُلُفٌ ضائعاً ... في حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ .
إنَّي لأرحمُ حاسِديَّ لِحَرِّ ما ... ضَمِنْتَ مُدورَهُمُ من الأوغارِ .
نَظَرُوا مَنيعَ النَّبيِّ فَعَيُونُهُم ... في جَنَّةٍ وَقُلوبُهُم في نارِ .
لا ذَنبَ لي قد رُمْتُ فَضائلي ... فكأنَّ ما بَرَّقَعتُ وَجَهَ نَهارِ .
وسَترتُها بتواضعي فتطلَّعت ... أعناقُها تعلو على الأستارِ .
ومنَ الرجالِ مَجالُ ومَعالِم ... ومنَ الذُّجُومِ غوامِضُ ودَرارِ .
والناسُ مُشْتَبِهونَ في إيرادِهِم ... وتَفاضُلُ الأَقوامِ في الإصدارِ .
عُمري لقد أوطأتُهُم طرقَ العُلا ... فَعَمُّوا ولم يَطاؤا على آثاري .
لو ابصَروا بعُيونِهِم لاسْتَبصَروا ... وعمى البَصائرِ من عَمى الأبصارِ .
هَلَسَ سَعَوْا سَعَيَ الكرامِ فأدركوا ... أو سَلَمُوا لمواقِعِ الأقدارِ .
ذهبَ التَّكرُّمُ والوفاءُ مِنَ الورى ... وتَصَرَّ ما إلّا مِنَ الأشعارِ .
وفشت خياناتُ الذِّقَاتِ وغيرِهِم ... حتّى اتَّهَمَنا رُؤيةَ الأبصارِ .
ولربِّ ما اعتَضَدَ الحَلِيمُ بِجاهِلٍ ... لا خَيرَ في يُمنى بغيرِ يَسارِ .
وله أيضاً وهو مما أفادينه الشَّيخ أبو محمد الحمداني :
تَهيمُ بِبَدْرِ والتَّنقُّلُ والنُّوى ... على البَدْرِ مَحْتومٌ فهل أنتَ صابِرُ .

له مِن سَنَا الفَجَرَ المُرَّ دِ غُرَّةٌ ... وَمِن حُلِّلِ اللَّيْلِ البَهِيمِ غَدَائِرُ .
وله أيضًا من نشيب قصيدة أخرى :

بَكَيتُ فَحَدَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا ... صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ ديارُها .
خططنا بأطرافِ المَحاصِرِ أرضها ... فَأَهْدَتْ إلينا مَسْكَ دَارِينَ دارُها .
ولاحَتْ تَنَايا الأَفْجوانِ ولو رَأَتْ ... عَوَارِضَ من أَهْوَاهُ طَالَ اسْتِنارُها .
تَوَقَّ عِيونَ الغانِياتِ فَإِنَّها ... سُيُوفُ وَأَشْفارُ الجُفونِ شِفارها .
وله أيضًا :

خَلِيلِيَّ هل من رَفْدَةٍ أَسْتَعِيرُها ... لَعَلِّي بِأَحلامِ الكرى أَسْتَزِيرُها .
ولو عَلمْتَ بالطَّيْفِ عاقَتَهُ دُونِنا ... لَقَدْ أَفْرَطْتُ بِخُلًّا بِمَا لا يَضِيرُها .
ومن أَمْلَح ما سمعت في هذا المعنى قوله :

أَبْرَزَنَ من تِلْكَ العُيُونِ أَسِنَّةً ... وَهَزَزَنَ من تِلْكَ القُدُودِ رِمَاحا .
يا حَبِيبَ ذَا ذاكَ السَّلاحُ وَحَبِيبَ ذَا ... وَقَتُ يَكُونُ الحُسْنُ فِيهِ سِلاحا .
ومنها :

أَهْوَى الفَتَى يُعْزِلِي جَنَاحاً لِّلْعُولا ... أَبَدًا وَيَخْفِضُ لِّلْجَلِيسِ جَنَاحا